اللاتنبؤية وسؤال الهيمنة الامريكية في الشرق الاوسط:

ولاية ترامب الثانية

أ.م.د طارق محمد ذنون الطائي

استاذ الاستراتيجية والعلاقات الدولية المساعد
كلية العلوم السياسية- جامعة الموصل

مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث
Enki Foundation for Studies and Research

الولايات المتحدة هي القوة العظمى الوحيدة في العالم. كما ان المسافة الدولية بينها وبين القوى الصاعدة لا زالت كبيرة جداً، فهي تمتلك التطلع التاريخي للزعامة العالمية وتمتلك مقومات القوة الشاملة، يتصف الفكر الاستراتيجي الذي يدفعها للتحرك والعمل في مناطق العالم المختلفة بصفة العالمية وليس الدولية او الإقليمية، فضلاً عن ذلك، تمتلك الإرادة لممارسة الدور العالمي والعمل على منع أي قوة عالمية تحاول العمل على ان تشغل محلها.

يتجسد السؤال المركزي لدى مراكز الدراسات والبحوث ودوائر صناع القرار في الولايات المتحدة، لا بل الذي يتصف بصفة الاستدامة ويتم مناقشته في الاتي: الى أي مدى يمكن استدامة الهيمنة الامريكية ومعالجة تحدياتها وصياغة مستقبلها؟، وتتصف الرؤى التي تقدم بانها محاولة دائمة لمواجهة او الاستعداد للاتي بعد الحال، كما ان كل إدارة أمريكية لها فلسفتها في كيفية التعاطي مع الاتي بعد الحال، الا ان الثابت في غايتها هو ضمان مستقبل الهيمنة الامريكية على العالم.

وفي ضوء التراجع النسبي للدور الأمريكي نتيجة مجموعة من المعطيات الدولية التي قادت الى الافراط في الجهد الأمريكي

العالمي لاسيما احتلال أفغانستان والعراق والتداعيات التي ترتبت على الوجود الأمريكي فيهما، والحرب الروسية الجورجية وغيرها، بالمقابل عملت القوى التعديلية على استثمار التراجع الأمريكي وزيادة تكتلها لمواجهة الهيمنة الأمريكية، وتشكيل التكتلات لمواجهة الهيمنة الامريكية وفي مقدمتها تشكيل مجموعة بريكيس والاعلان الرسمي لهذه التسمية عام(2011).

لقد كان الشرق الوسط يشكل الركيزة الأساسية في الاستراتيجية الامريكية نتيجة المسؤولية التي ترتبت على أدائها في عملية تفكيك النظم السياسية في الشرق الاسط، اذ قاد الى تكثيف العمل الأمريكي الهادف الى إعادة هيكلة المنطقة، وفق الرؤية الامريكية والتي سميت دمقرطة الشرق الأوسط. وقد ساعدها في ذلك مجموعة من العوامل لعل من اهما التقدم التكنو معلوماتي ووسائل التواصل الاجتماعي والاخطاء الكبيرة التي ارتكبتها الأنظمة السياسية في الشرق الأوسط نتيجة الفعل و رد الفعل الذي قاد بدوره الى العنف والعنف المتبادل. لقد تغيرت مجموعة من الأنظمة السياسية في الشرق الأوسط نتيجة تشابه الأسباب واختلاف المعطيات والادوات لاسيما في افغانستان والعراق وتونس وليبيا واليمن وسوريا والجزائر واليمن.

«الولايات المتحدة هي القوة العظمى الوحيدة في العالم. كما ان المسافة الدولية بينها وبين القوى الصاعدة لا زالت كبيرة جداً، فهي تمتلك التطلع التاريخي للزعامة العالمية».

لقد اتسمت منطقة الشرق الأوسط والدور الأمريكي فيها خلال العقد الأول والعقد الثاني من القرن الحادي والعشرين بانها في مرحلة الصيرورة ومحاولة اخضاع شعوبها للقبول بالأليات الغربية والمقاربات السياسية في فن الحكم. ومن الضرورة بمكان الإشارة الى التجربة الأوروبية في هذا السياق، فالمناطق التي تتبنى المقاربات الايدولوجية عندما تتعرض شعوبها الى الحروب واراقة الدماء وتفقد الامن، فإنها عندما تستعيد امنها

تتحول الى اقصى درجات البراغماتية المساومة والتسوية في حل قضاياها. واذا ما طبق ذلك على ما جرى في دول الشرق الأوسط فان ذلك قاد الى تبني دول المنطقة للبراغماتية والانفرادية في تعاملها مع الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة، اما فيما يتعلق بالتنسيق فيما بينها حول القضايا المشتركة فقد تراجع بشكل كبير، والدليل على ذلك دخولها في اتفاقات ابراهام مع (إسرائيل) منفردة ولأسباب واهداف ضيقة جدا ومحتوى الاتفاقات يثبت ذلك.

يعد تسنم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب للولاية الثانية علامة فارقة في تاريخ الولايات المتحدة. فقد جسدت سلوكياته نوعاً من عدم القدرة على التنبؤ بما يبغي فعلة نتيجة التناقض فيما يصرح فيه وما يتراجع عنه. اذ يشير كثير من الكتاب الى التنبؤ وعدم القدرة على التنبؤ في سلوك الرئيس ترامب في معالجة قضايا الشرق الأوسط، بعضهم يرى بانها ناجمة عن فوضويته وسلوكه الناجم عن تناقضاته النفسية، والأخر يرى بان اللاتنبؤية ناجمة عن فعل مدروس لأنه يوصف برجل الصفقات، كما ان الغموض وعدم القدرة على التنبؤ بما ستؤول اليه مواقفه، سيمكنه من الحصول على اكبر قدر من المكاسب في مواجهة الفواعل الأخرى وتقديم التنازلات نتيجة الخوف من الاثار المترتبة على اللايقينية في مدى الخطوات التي سيتخذها ضد الأطراف التي لا تنصاع لما يريده.

الولايات المتحدة وايران: من التخادم التكتيكي الى الاختلاف الاستراتيجي

لقد شكل الانغماس الأمريكي في الشرق الأوسط لاسيما في أفغانستان والعراق بداية التراجع الأمريكي النسبي في صياغة الشرق الأوسط، فالخسائر التي تعرضت لها في هذين البلدين، دفعها الى زيادة نسبة تركيزها على اصلاح الانطباع

العام في المجتمع الدولي عن القوة الامريكية في العالم، لا بل العمل على تسوية الملفات الأخرى في الشرق الأوسط باقل تكلفة كهدف مرحلي.

بالمقابل، مثّل التراجع الأمريكي النسبي فرصة لإيران ان تعمل على إعادة صياغة استراتيجيتها والتمدد في منطقة الشرق الأوسط وتكوين العديد من الارتباطات مع الفواعل والقوى من غير الدول في مختلف دول المنطقة والتي تشترك معها في علاقات دينية ومجتمعية.

لم يكن الاتفاق النووي الإيراني عام (2015) الا نتيجة التراجع الأمريكي بفعل التكاليف الحربين والانغماس في الحرب على داعش، ولحاجة أمريكية مرحلية الهدف منها معالجة الملفات الفرعية في الشرق الأوسط لاسيما تداعيات وفوضى التغيير السياسي في العالم العربي وهزيمة داعش وفق المدد

الزمنية التي تتناسب مع المصالح الامريكية، ودراسة الخيارات الامريكية وفق ستراتيجات طويلة الأمد للتعامل مع ايران.

لقد كانت داعش سبباً رئيساً لإيغال اطراف عديدة في منطقة الشرق الاوسط في مقدمتها تعاظم الانتشار العسكري الأمريكي، وزيادة الايغال الإيراني في المنطقة بحكم المواجهة العالمية التي تطلبتها المرحلة. الا انها كانت تجثم فيها بذور الاختلاف المؤجل الذي بدأ يتراكم ووصل ذروته بعد هزيمة داعش الأولية في عام 2017.

لقد كانت النتيجة جلية بشكل كبير، وتكامل معها فوز الرئيس ترامب للولاية الأولى الذي كانت لديه توجهات مختلفة عن الرئيس الذي سبقه باراك أوباما. وعلى هذا الأساس انسحبت الولايات المتحدة بقيادة ترامب من الاتفاق النووي مع ايران او ما يسمى خطة العمل المشتركة الشاملة عام (2018) لقناعة أمريكية بانه مثّل فرصة وفوز لإيران على حساب الولايات المتحدة مكنها من تحقيق تقدم في البرنامج النووي وبرنامجها الصاروخي وان النتائج السلبية التي ترتبت عليه تفوق نتائجه الإيجابية.

«لقد كان الشرق الوسط يشكل الركيزة الأساسية في الاستراتيجية الامريكية نتيجة المسؤولية التي ترتبت على أدائها في عملية تفكيك النظم السياسية في الشرق الاسط».

لقد شكلت احدث السابع من أكتوبر في عام (2023) وطوفان الأقصى فرصة للولايات المتحدة للربط بين ما حدث و سلوكيات ايران في المنطقة، والتي اتخذتها (إسرائيل) كذريعة لمهاجمة برنامج ايران النووي واطلاق عملية (مطرقة منتصف الليل)، والتي أجبرت الولايات المتحدة في نهاية المطاف في الاشتراك في معركة (12) يوم والتي رسخت الانطباع لدى كل من الولايات المتحدة وإسرائيل بضرورة إعادة تقييم الوجود الإيراني في الشرق الاوسط والبرنامج الصاروخي والبرنامج النووي وفق أسس ومعايير جديدة.

وتسعى الولايات المتحدة لتحقيق أهدافها من خلال سياسية الضغط الأقصى التي تجمع بين ركيزتين هما العقوبات الاقتصادية والضغط العسكري. بينما تشكك (إسرائيل) بإمكانية تحقيق هدف الحد من نفود وسلوكيات ايران من خلال العقوبات الاقتصادية، وان العمل العسكري المباشر هو الذي يثني ايران عن سلوكياتها.

إدارة ترامب والخليج: صفقات سراتيجية ام تعهدات مرحلية

تعد منطقة الخليج من مرتكزات الامن القومي الأمريكي من الناحية التقليدية. اذ عملت دول الخليج على جلب المصالح الامريكية والاستمارات والأصول الى منطقتها، مما مكنها من توفير المظلة الأمنية الامريكية لدول الخليج في أوقات الازمات وردع التهديدات، ليس من اجل الدول بحد ذاتها وانما من اجل ديمومة الدفاع عن وجود هذه المصالح التي وصلت الى مليارات الدولار. ويعتمد ذلك على الرؤية الليبرالية التي تركز على معادلة رئيسة بانه كلما زاد ترابط المصالح بين الدول كلما كان من الصعوبة بمكان فك الترابط في أوقات الازمات. ودفع الدول الحامية للدفاع عن حلفاؤها التي ترتبط معها بروابط ومصالح مشتركة لا فكاك منها.

«يعد تسنم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب للولاية الثانية علامة فارقة في تاريخ الولايات المتحدة. فقد جسدت سلوكياته نوعاً من عدم القدرة على التنبؤ بما يبغي فعلة نتيجة التناقض فيما يصرح فيه وما يتراجع عنه».

ونتيجة الخبرة والترابط التاريخي بين دول الخليج والولايات المتحدة الامريكية، فإنها تعاملت مع إدارة ترامب وفق منهج عقد الصفقات المرحلية بهدا امتصاص الزخم الاقتصادي القائم على الابتزاز، والذي يعمل ترامب في ولايته الثانية على فرضه وجعله نمطاً لسلوكه في المجال الخارجي. والدليل على ذلك،

حجم الأموال التي تم الإعلان عنها للاستثمارات في الزيارة التي قام بها ترامب الى دول الخليج العربية لاسيما السعودية وقطر.

وفي هذا السياق، اعلن البيت الأبيض في (2025/5/15) في موقعه الرسمي ما حصل عليه ترامب من جولته الى الشرق الأوسط، اذ نص البيان (يواصل الرئيس ترامب إبرام صفقات استثمارية مميزة للشعب الأمريكي، اذ أمّن اتفاقيات استثمارية مع دول الشرق الأوسط بقيمة تتجاوز تريليوني دولار، سعياً لمستقبل أكثر أماناً وازدهاراً. اذ تبلغ قيمتها (200)مليار دولار مع الإمارات العربية المتحدة، و(600)مليار دولار مع السعودية، و(1.2) تريليون دولار مع قطر)[1].

وترابطاً مع ما تقدم، فان الملف الإيراني يشكل هاجساً دائما لدول الخليج العربية، التي ترى في السلوك الإيراني ودعمها للفواعل من غير الدول تهديدا مباشراً لأمنها، كما انها تدرك بانه اذا ما اندلعت الحرب بين الولايات المتحدة و (إسرائيل) من جهة وايران من جهة أخرى فإنها الخاسر الاكبر بحكم القرب الجغرافي، اذ تتسبب في تدمير الاقتصاد الخليجي، والاستثمارات الدولية التي ستكون مُهددة، مما يسبب في تعطيل حركة التجارة والمشاريع الاقتصادية الكبرى في المنطقة.

"لقد شكل الانغماس الأمريكي في الشرق الأوسط لاسيما في أفغانستان والعراق بداية التراجع الأمريكي النسبي في صياغة الشرق الأوسط".

وتوافقاً مع الرؤية الامريكية، فقد عملت دول الخليج على البدء في عملية التطبيع مع (إسرائيل) لاسيما الامارات والبحرين، ولكل دوله دوافعها وأهدافها من وراء عملية التطبيع. ورغم ان مفهوم التطبيع يعني الدخول في علاقات طبيعية بين دولتين في مختلف المجالات واستئصال كل مهددات تقويض العلاقة، فان القراءة المعمقة لاتفاقات ابراهام المتعلقة بكل دولة تثبت بان الهدف الأساسي للأمارات هو التطبيع الاقتصادي، والهدف

البحريني هو الحصول على الدعم الغربي في الحفاظ على النظام السياسي القائم.

لقد اختبرت احداث السابع من أكتوبر توافقات(Accords) التطبيع ومدى صمودها وقدرتها على التوسع لتشمل دول خرى في الشرق الأوسط. فالمجاز التي ارتكبتها إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني من الشيوخ والنساء والأطفال وتدمير المستشفيات وقصف المخيمات وضعت مدى نجاعة اتفاقات ابراهام وجعلتها موضع نقاش للدول التي طبعت والدول التي كانت تفكر في عملية التطبيع.

لم تكن توافقات التطبيع لتكون لولا الابتزاز الذي يقوم به ترامب لدول الخليج، وتعاظم الدور الإيراني في الشرق الأوسط، والتغيير في الأنماط الفكرية للأنظمة الحاكمة في كيفية التعاطي مع التحديات التي انتجتها أزمات المنطقة.

لقد ادركت دول الخليج لاسيما المملكة العربية السعودية وقطر طبيعة تفكير الإدارة الامريكية الجديدة في عهد ولاية ترامب الثانية، والتي تقوم على العمل على ابتزاز الدول الأخرى في مجموعة من الملفات التي لا تستطيع ان تتغلب عليها بدون دعم الولايات المتحدة. ولذلك شرعت في تقديم الفرص الاستثمارية والتعاقدات في مختلف المجالات المدنية والعسكرية لا بل وصل الامر الى ان تقوم قطر بإهداء طائرة رئاسية الى ترامب خلال زيارته الأخيرة اليها. وكل ما تقدم من اجل حصر التعامل بين الدولتين من خلال شخص الرئيس ترامب الذي يتسم بالشخصنة في السلوك بدلا من المؤسساتية، فضلاً عن ان التعهدات يمكن ان تتم وقد لا تتم في المستقبل، والهدف في ذلك هي مسايرة الموجة التي تتسم بعدم القدرة على التنبؤ، وهو سلوك مرحلي كما هو الحال مع السلوك الصيني خلال ولاية ترامب الأولى.

الولايات المتحدة والصين: استعادة الهيمنة وتقديم النموذج البديل

«لم يكن الاتفاق النووي الإيراني عام (2015) الا نتيجة التراجع الأمريكي بفعل التكاليف الحربين والانغماس في الحرب على داعش».

ليس هنالك قوة عالمية دائمة الهيمنة العالمية. فتبدل الهيمنة هو الحاكم للشؤون الدولية. والقوى الصاعدة تحاول ان تصل القمة مهما كانت المعطيات والعمل على تغيير قواعد النظام الدولي والذي يستم الان بصفة اللبرالية، والقوى المهيمنة تحاول ان تديم الهيمنة على العالم لأطول مدة ممكنة. لم تكن الإمبراطورية البريطانية تعتقد بانها سوف تترك الهند والخليج وتتخلى عن وجودها المباشر. كما لم يرى المفكرون بان الولايات المتحدة المنغمسة في صراعاتها الداخلية سوف

تخرج عن سياسة مبدأ منرو وتنغمس في الشؤون الدولية ومن ثم الهيمنة العالمية.

في الواقع، يشير العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، بان هنالك مجموعة من القوى التي تحاول ان تعيد ترتيب مكانتها في التفاعلات الدولية وفي مقدمتها الصين. بالمقابل، تعمل الولايات المتحدة على ديمومة هيمنتها على العالم. من هنا بدأت محاولات تثبيت الهيمنة بفعل ادركها بان العالم يتغير، ولذلك لابد من اعادة تراكم قوتها العسكرية المتقدمة. ويشير معهد ستوكهولم لأبحاث السلام في هذا السياق الى الاتي: «بلغ الإنفاق العسكري الأمريكي(997) مليار دولار في عام(2024)، بزيادة قدرها(5.7%)عن عام(2023)، و(19%) عن عام(2015). وظلت الولايات المتحدة الأمريكية أكبر دولة إنفاقاً في العالم، اذ استحوذت الولايات المتحدة الأمريكية على(37%) من الإنفاق العسكري العالمي في عام(2024)، و(66%) من الانفاق في حلف شمال الأطلسي، وتليها الصين بانفاق عسكري يصل الى (314) مليار دولار»[2]. بمعنى ان المسافة الدولية بينهما كبيرة جداً.

«انسحبت الولايات المتحدة بقيادة ترامب من الاتفاق النووي مع ايران... لقناعة أمريكية بانه مثّل فرصة وفوز لإيران على حساب الولايات المتحدة».

وعلى الرغم مما تقدم، تعد الصين إحدى القوى التي تحاول ان تنغمس في الشرق الاوسط. وبذلك اصبح الشرق الاوسط ميدان التنافس الرئيس بين القوتين، مما بلور معطيات إحلال البديل في سياسات دول الشرق الأوسط.

اذ تؤكد استراتيجية الامن القومي للولايات المتحدة الأمريكية لعام(2025) بان الصين هي التهديد الاول لمكانة الولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين. فالنمو المتصاعد لها، وزياده الانفاق العسكري، واعاده صياغة ترابطاتها مع

مناطق العالم المختلفة من خلال مبادراتها ذات الطابع العالمي لاسيما مبادرة الحزام والطريق البحرية والبرية والرقمية يمثل تحديدا مباشر لارتباطات الولايات المتحدة التقليدية في الشرق الأوسط.

فالإدراك الصيني المتعاظم لأهمية الشرق الاوسط دفعها الى زياده نسبه تركيزها على المنطقة بفعل ركيزتين اساسيتين هما حجم السوق الاستهلاكية الكبيرة من جهة، وبوصفها المورد الرئيس للطاقة لرفد وديمومة الصناعات الصينية من جهة ثانية، ورغم ان الصين تملك الوصول الى هاتين الركيزتين الا انها لا تملك التحكم بالركيزة الثالثة وهي الأهم والتي تتمثل بالأمن. مما لاشك فيه، تملك الولايات المتحدة الركيزة الثالثة والمتمثلة في الامن، والتي تتمكن من خلالها اما الحفاظ عليه او بعثرته في الزمان والمكان الذي تريد، وهو ما لا تملكه الصين.

وتأكيداً على ما تم تجذيرة من مقاربات، تنص استراتيجية الامن القومي الأمريكي لعام(2025) على الاتي: «نريد منع أي قوة معادية من السيطرة على الشرق الأوسط، وإمداداته من النفط والغاز، والممرات المائية التي تمر عبرها، مع تجنب «الحروب الأبدية» التي أوقعتنا في تلك المنطقة بتكلفة باهظة.... وعلى مدى نصف قرن من الزمن، أولت السياسة الخارجية الأمريكية الأولوية للشرق الأوسط على جميع المناطق الأخرى. والأسباب واضحة: فقد كان الشرق الأوسط لعقودٍ طويلة أهم مورد للطاقة في العالم، ومجالاً رئيساً للتنافس بين القوى العظمى، وغارقًا في صراعاتٍ هددت بالامتداد إلى جميع مناطق العالم، لا بل الى أراضينا.....وتحول التنافس بين القوى

«تعد منطقة الخليج من مرتكزات الامن القومي الأمريكي من الناحية التقليدية».

العظمى إلى تنافسٍ محموم، تحتفظ فيه الولايات المتحدة بمكانةٍ مرموقة»[3].

ورغم الإمكانيات التي تملكها الصين، والتمدد الصيني في الشرق الأوسط، فان الولايات المتحدة لا تزال الدولة الأكثر تأثيراً في هذه المنطقة، كما ان الصين لم يتم اختبار قوتها منذ مدة طويلة من الزمن، على عكس روسيا التي تم اختبار محدودية قدراتها في اوكرانيا، ورغم التقدم الصيني في المجال الاقتصادي والبحري، الا ان الأدوات التي تملكها الولايات المتحدة والتفاعلات العالمية مع جميع دول العالم، وقدرتها على استخدام أدوات الترهيب والترغيب تجاه الدول التي لا تؤيدها، كل ما تقدم يجعل التنافس بينهما يميل لصالح الولايات المتحدة.

وعلى النقيض من ذلك، فان القضايا المفتوحة في الشرق الاوسط لاسيما تداعيات احداث طوفان الأقصى، وهجمات(12) يوم المتبادلة بين ايران و(إسرائيل)، شكلت فرصه تاريخيه للولايات المتحدة لإعادة تشكيل دورها والتعبير عن نفسها كقوة مهيمنة تعرضت مكانتها للتراجع في عهد بايدن وعدم حسم الحرب الروسية الأوكرانية.

«فان الملف الإيراني يشكل هاجساً دائما لدول الخليج العربية، التي ترى في السلوك الإيراني ودعمها للفواعل من غير الدول تهديدا مباشراً لأمنها».

ونتيجة تعاظم رؤيه الصين حول تايوان ومراقبتها لردود الفعل الأمريكية والغربية والاستفادة من تجربة روسيا في اوكرانيا بدأت الولايات المتحدة تستشعر التراجع التدريجي، وحُسم الامر في ظل اداره دونالد ترامب بضرورة الإفصاح عن القوه الأمريكية، وممارسه دور المهيمن المفترس كما يصفها ستيفن ولت في مقالته التي صدرت مؤخراً في مجلة الشؤون الخارجية. فلم تعد تسمح الولايات

المتحدة بالإيغال الصيني في الشرق الأوسط اذا لم يكن وفق القواعد الامريكية.

الولايات المتحدة و(إسرائيل): المظلة الأمنية المستدامة

من الناحية التقليدية، تعد الولايات المتحدة بمثابة الراعي الثابت للوجود الإسرائيلي في المنطقة. اذ لا يمكن لأي إدارة أمريكية جمهورية كانت ام ديمقراطية ان تتخلى عن الدعم الثابت لضمان التفوق العسكري الإسرائيلي في المنطقة. فالولايات المتحدة في مدة ولاية ترامب الثانية قدمت الدعم الشامل (لإسرائيل) وفي مقدمتها الدعم العسكري في الميدان، وضمان تدفق الأسلحة والمعدات وغيرها، والدعم السياسي في العديد من المنظمات الدولية والإقليمية ومجلس الامن، كما انها تستخدم حق النقض (الفيتو) ضد أي مشروع قرار من المحتمل ان يشكل ادانة للإبادة الإسرائيلية ضد شعب غزة.

«لقد اختبرت احداث السابع من أكتوبر توافقات(Accords)التطبيع ومدى صمودها وقدرتها على التوسع لتشمل دول خرى في الشرق الأوسط».

تعد توافقات ابراهام المدخل الرئيس لتطبيع دول المنطقة مع (إسرائيل)، وتمثل الولايات المتحدة الراعي الأساسي لعملية الدمج الإسرائيلي في مشاريع المنطقة، بهدف الوصول الى التطبيع الكامل. ويتجسد في إعادة صياغة علاقات(إسرائيل) مع دول المنطقة، وتشكيل التفاعلات الاقتصادية والاجتماعية والمشاريع المشتركة بهدف استئصال القضايا الخلافية وأعادة تشكيلها وفق الرؤية الامريكية و(الإسرائيلية) وبما يضمن الهيمنة الإسرائيلية على دول المنطقة.

وعلى الرغم من التوافق الأمريكي –الإسرائيلي الاستراتيجي حول ما الذي ينبغي ان تكون عليه منطقة الشرق الأوسط، فان

هنالك خلاف إسرائيلي مع المنهج الامريكي في التعامل مع القضايا التي تكون (إسرائيل) طرفاً فيها. فعلى الرغم من التأييد الأمريكي المطلق (لإسرائيل) في حربها على غزة، والتغاضي عن التدمير الشامل والشروع بقتل النساء والأطفال والشيوخ، فإنها لا ترغب بان تقوم(إسرائيل) بعمل احادي الجانب من شأنه ان يجبر الولايات المتحدة على الدخول في حرب لا تتوافق مع حساباتها الاستراتيجية في المنطقة او من المحتمل ان تهدد مصالحها. والدليل على الخلاف هو توصل الولايات المتحدة الى اتفاق مع الحوثيون في اليمن بعدم التعرض للمصالح والسفن الامريكية ولم تكن (إسرائيل) راغبة به.

وعلى الرغم من ان إدارة ترامب تميل الى المفاوضات مع ايران حول البرنامج النووي والبرامج الصاروخية والفواعل العسكرية من غير الدول والمرتبطة بها في المنطقة بوصفها

هدفاً استراتيجيا او هدفا تكتيكياً لكسب الوقت، فان (إسرائيل) تعتقد بان المفاوضات مع ايران سوف لن تكون ذات جدوى مع المنهج الإيراني المتواتر. فضلاً عن ذلك، فان الهدف الأمريكي من المفاوضات هو اما الوصول الى اتفاق وفق الشروط الامريكية والإسرائيلية من جهة، والاستفادة من المدة الزمنية التي تمنحها المفاوضات من اجل استكمال الاستعدادات العسكرية الامريكية سواء فيما يتعلق بالضربة الأمريكية او التداعيات المترتبة على المنطقة بعد الضربة الاولى من جهة أخرى.

الولايات المتحدة وسوريا: تبدل النهج وتغير الأولويات واختلاف الادوات

وفي سياق فوضى التغيير السياسي في العالم العربي، كانت الولايات المتحدة ترى في النظام السياسي بقيادة بشار الأسد هو الخيار الأمثل في تلك المرحلة الزمنية نتيجة انتشار داعش في العديد من مناطق شرق سوريا، كما انها دعمت قوات سوريا الديمقراطية بوصفها أداة يمكن استغلالها لمحاربة تنظيم داعش بفعل تطلعها الى الحكم الذاتي الذي كانت تحلم فيه، اذ وجد تنظيم قسد بان الدعم العسكري المقدم من الولايات المتحدة بهدف محاربة داعش ممكن ان يؤسس لحكم ذاتي مدعوم سياسياً وعسكرياً الى ما لانهاية من قبل الولايات المتحدة. ولكن الوقائع اثبتت بان الدعم الأمريكي لتنظيم قسد لم يكن الا لحاجة أمريكية وقتية اقتضتها ضرورة المرحلة.

«ليس هنالك قوة عالمية دائمة الهيمنة العالمية. فتبدل الهيمنة هو الحاكم للشؤون الدولية».

لقد قادت احداث السابع من أكتوبر وطوفان الأقصى الى ربط الاحداث مع بعضها البعض في منطقة الشرق الأوسط. اذ قدمتها (إسرائيل) للرأي العام العالمي على ان طوفان الأقصى

كان بتدبير من ايران وحزب الله اللبناني. وبما ان النظام السوري السابق كان من الداعمين الرئيسيين واداة الربط بين ايران وحزب الله اللبناني، فان الدفاع عنه كان بمثابة ضرورة استراتيجية. مما لاشك فيه ان طوفان الأقصى قاد الى إعادة تموضع قوات حزب الله اللبناني والانكفاء على الداخل في لبنان مما تسبب في خلل عملياتي في جبهة الدفاع عن النظام السياسي بقيادة بشار الأسد.

لقد كان سقوط النظام السياسي في سوريا نتيجة طبيعية للتداعيات التي تراكمت منذ تشكل المعارضة والعمليات العسكرية المتبادلة وانتشار الفواعل العسكرية من غير الدول على حساب ضعف الجيش السوري. لم تكن الإدارة الامريكية بقيادة ترامب خلال الولاية الثانية داعمة لبقاء نظام بشار الأسد، بل كانت داعمة لسقوطه بفعل التأثر بالرؤية(الإسرائيلية) والمتمثلة في انه حلقة الوصل بين ايران وحزب الله اللبناني وان طوفان الأقصى جاء بتنسيق معهما.

تقوم فلسفة إدارة ترامب خلال ولايته الثانية في الشرق الأوسط بان العمل على تقوية الكيانات الفرعية داخل الدول وعدم العمل على تقوية الحكومات المركزية في الشرق الأوسط قاد الى فشل كبير، لا بل وعدم القدرة على الوصول الى قرارات حاسمة وتحقيق الاستقرار في المنطقة. اذ تعتقد إدارة ترامب من خلال مبعوثها توم باراك الذي اعلن من خلال اكثر من لقاء بانه على الرغم من الدعم الأمريكي لشمال العراق بعد الاحتلال الأمريكي لم تزل كثير من المشكلات مع الحكومة العراقية المركزية من دون حل، وغيرها من الكيانات التي تحاول ان تكون بديلاً عن الدولة في المنطقة.

«تؤكد استراتيجية الامن القومي للولايات المتحدة الأمريكية لعام(2025) بان الصين هي التهديد الاول لمكانة الولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين».

فضلاً عما تقدم، فان دعم ادراة ترامب للنظام السياسي الجديد في سوريا هو هدف وغاية بحد ذاتها، فهو هدف كونه سيعيد ربط سوريا بالولايات المتحدة بدلا من روسيا الاتحادية، وهذا ينظر اليه في سياق الاستراتيجية الامريكية الكبرى في العالم، وهو غاية كونه يمثل إعادة الترابط بين دول الخليج وسوريا، مما يحقق مزيدا من الترابط مع دول الخليج التي بدأت تبحث عن مجالات أخرى للعمل مع الصين. كما انه يمثل بوابة أخرى لدفع عمليات التطبيع التي تتزعمها في المنطقة.

إدارة ترامب ومسارات الشرق الأوسط في ضوء التحشيد العسكري المتبادل

تتبنى الولايات المتحدة، بوصفها القوة العظمى في العالم، استراتيجية مزدوجة للحفاظ على هيمنتها العالمية. من منظور غرامشي، يمكن تقسيم هذه السيطرة إلى نمطين: الهيمنة التي تعتمد على تحقيق الحكم بالتراضي من خلال صياغة المعايير والمؤسسات، والإكراه الذي ينطوي على الحكم بالقوة. وبينما تُصوّر الولايات المتحدة نفسها غالبًا كعامل استقرار للنظام العالمي وقائد خلال الأزمات الدولية، فإنها تواجه أيضًا انتقادات للجوء إلى القوة العسكرية وتطبيق معايير مزدوجة في سياستها الخارجية.

«رغم الإمكانيات التي تملكها الصين، والتمدد الصيني في الشرق الأوسط، فان الولايات المتحدة لا تزال الدولة الأكثر تأثيراً في هذه المنطقة».

وفي هذا السياق، ثمة غموض كبير يكتنف طبيعة التعامل الامريكي مع منطقة الشرق الأوسط. فعلى الرغم من ادعاء الولايات المتحدة العمل من خلال القيادة والتعاون الدولي، فإن اعتمادها المتكرر على التدابير القسرية يثير تساؤلًا جوهريًا: متى ولماذا تتحول الولايات المتحدة من استراتيجيات الهيمنة بالتراضي إلى استراتيجيات الإكراه في المنطقة؟

أن السيطرة الأمريكية تُمارس في المقام الأول من خلال الهيمنة والقيادة المؤسسية عندما تتوافق مصالحها مع القبول الإقليمي والدولي. مع ذلك، وعندما يضعف الرضا بالهيمنة أو يواجه مقاومة، تميل الولايات المتحدة إلى اللجوء إلى أدوات سياسية وعسكرية قسرية للحفاظ على هيمنتها. في هذا السياق، يُصبح الإكراه بديلاً عن الهيمنة عندما يتعذر ضمان الرضا.

لقد جسّدت إدارة ترامب هذا التوتر من خلال مزج الدبلوماسية النفعية بالإجراءات القسرية، مثل العقوبات والتهديدات العسكرية، مما يُعقّد التمييز بين القيادة والهيمنة القسرية. في نهاية المطاف، فإن التحول بين الهيمنة والإكراه ليس اعتباطيًا، بل تُحركها المصالح الاستراتيجية، وتتناوب الولايات المتحدة بين هذه الاستراتيجيات لضمان مصالحها، مستخدمةً الإكراه كخيار احتياطي أساسي عندما يفشل نفوذها في تحقيق النتائج المرجوة.

وفي ضوء ما تقدم، تعمل إدارة ترامب الثانية على تحقيق مجموعة من الأهداف في الشرق الأوسط منها ضمان التحكم بالطاقة، ومنع حرية وصول الصين اليها عن طريق إعادة تشكيل روابط دول المنطقة مع الولايات المتحدة، وضمان السيادة الكاملة (لإسرائيل) في مرحلة ما بعد طوفان الأقصى، والعمل على اكمال التوافقات الابراهيمية لضمان انضمام اكبر عدد من دول الشرق الأوسط اليها، والعمل بالتنسيق الكامل مع (إسرائيل) على انهاء وجود الفواعل العسكرية من غير الدول التي لاتنصاع لإرادتهما والتي تعدها بمثابة تهديد لمصالحها و(إسرائيل) ، فضلا عن العمل على تحجيم الدور الإيراني في الشرق الاسط سواء تعلق الامر بالمسائل الداخلية الايرانية

«من الناحية التقليدية، تعد الولايات المتحدة بمثابة الراعي الثابت للوجود الإسرائيلي في المنطقة».

مثل البرنامج النووي الإيراني وبرنامج الصواريخ البالستية، ام الموضوعية المرتبطة بالبيئة الاستراتيجية الإقليمية سواء من الدول او الفواعل من غير الدول التي لا تنصاع للإرادة الامريكية.

اللايقين في الحرب الامريكية على ايران

نتيجة التراجع النسبي للاداء الاستراتيجي العالمي الامريكي في عهد الرئيس بايدن ، بموازاة الصعود الصيني وتعاظم انفاقها العسكري، وسلوكها في بحر الصين وتايوان، فضلا عن الحرب الروسية في اوكرانيا ومحدودية الدعم الغربي القادر على الحسم العسكري، والانقسام الذي بدأ يتعاظم حول تقاسم التكلفة، وظهور موجة من الاراء حول محدودية والتشكيك في القدرات الامريكية بوصفها قوة عظمى، في ضوء ما تقدم، ترى الولايات المتحدة بانه يجب عليها القيام بأعمال كبيرة من اجل تصحيح هذه المكانة في مدركات الدول الأخرى لاسيما الاعداء والأصدقاء، وهذا يرتبط بضرورة الافصاح عن القوة الامريكية بافعال مباشرة تستعيد من خلالها اللحظة الامريكية الثالثة(الأولى: بعد تفكك الاتحاد السوفيتي؛ الثانية : بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر واحتلال العراق وافغانستان) وحجم المسافة بينها وبين القوى الصاعدة الأخرى وفي مقدمتها الصين، فالولايات المتحدة بدأت تستشعر ان مكانتها موضع شك من قبل الاخرين، ولابد من اعادة ادراكهم لمصداقيتها وموثوقيتها بوصفها القوة العظمى الوحيدة في العالم.

«تعد توافقات ابراهام المدخل الرئيس لتطبيع دول المنطقة مع (إسرائيل)، وتمثل الولايات المتحدة الراعي الأساسي لعملية الدمج الإسرائيلي في مشاريع المنطقة».

لقد بدأت الولايات المتحدة حشدها العسكري في المنطقة المحيطة لايران. وتشير الرؤى بان حجم هذا التحشيد وصل الى مراحل متقدمة. واحدى هذه الرؤى تتمثل فيما كتبه

روبرت باب، أستاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاغو وأحد أبرز محللي القوة الجوية الأمريكية. اذ قال الاتي: «يمثل هذا الحشد العسكري ما بين (40%) و(50%) من القوة الجوية الأمريكية القابلة للانتشار في العالم. وتقارب حجم القوة جوية التي تم نشرها في الحرب ضد العراق عامي(1991) و(2003). وهي في تزايد مستمر. ولم يسبق للولايات المتحدة أن نشرت هذا الحجم من القوة ضد عدو محتمل دون أن تشن غارات جوية»[4].

وفي هذا السياق، يشير كل من مارك ف. كانسيان كريس إتش بارك الباحثان في مجلس العلاقات الخارجية الى الاتي: «تستعد الولايات المتحدة لمهاجمة إيران. والتقييم الاستراتيجي لواقع الانتشار العسكري الأمريكي يثبت بان الأسطول البحري في الشرق الأوسط وشرق البحر الأبيض المتوسط والذي يضم حاملتي طائرات و(14) سفينة حربية يعد الأكبر في المنطقة. هذه القوة قادرة على توجيه ضربات لإيران وحماية حلفاء الولايات المتحدة وشركائها في المنطقة. إلا أنها تفتقر إلى قوات المارينز، وقوات العمليات الخاصة (SOF) للغارات أو العمليات البرية، واللوجستيات اللازمة لحملة جوية طويلة الأمد»[5].

«لم تكن الإدارة الامريكية بقيادة ترامب خلال الولاية الثانية داعمة لبقاء نظام بشار الأسد، بل كانت داعمة لسقوطه بفعل التأثر بالرؤية(الإسرائيلية)».

والسؤال الذي يتبلور هو الآتي: ما الذي سيحدث لو شنت الولايات المتحدة الحرب على ايران؟ تكمن الإجابة في ضرورة تتبع سياق التصعيد الأمريكي- الاسرائيلي ضد ايران. لقد كانت المفاوضات بين الولايات المتحدة وايران لمدة طويلة من الزمن، و تم التوصل الى العديد من التوافقات، لا بل تم التوصل الى الاتفاق النووي مع ايران واصبح هو الحاكم لمسار العلاقة بين الدولتين.

لقد عملت (إسرائيل) خلال وبعد معركة طوفان الأقصى على الربط بين السلوك الإيراني في الشرق الأوسط وبين طوفان الأقصى. اذ قدمت نفسها على انها تعرضت للإبادة من قبل ايران والفواعل من غير الدول المرتبطة بها، لا بل وصل ذلك الى العمل على دفع الولايات المتحدة للاشتراك في الحرب لأنها بمثابة حرب وجودية(لإسرائيل) التي سوقتها على انها تتعرض (لهولكوست جديدة). وقد نجحت في دفع الولايات المتحدة للاشتراك الى جانبها في العملية المسماة امريكياً مطرقة الليل والتي استهدفت المواقع النووية الإيرانية.

التحول النوعي الذي انتجته وكشفت عنه الحرب وهو خضوع الصواريخ البالستية الإيرانية للتجريب والقادرة على الوصول الى (إسرائيل). مما انتج سياق جديد للعداء بين الطرفين، فاذا كان في السابق بين الفواعل العسكرية من غير الدول، فان ايران دخلت الى العداء بشكل مباشر وأصبحت تهدد الوجود)الإسرائيلي(، لا بل قاد ذلك الى دخول البرنامج النووي الإيراني وبرنامج الصواريخ الإيرانية ضمن الأهداف الاستراتيجية الإسرائيلية التي لا مفر من تدميرها وفق وجهة النظر(الإسرائيلية).

«تتبنى الولايات المتحدة، بوصفها القوة العظمى في العالم، استراتيجية مزدوجة للحفاظ على هيمنتها العالمية... الهيمنة التي تعتمد على تحقيق الحكم بالتراضي... والإكراه الذي ينطوي على الحكم بالقوة».

تعد المفاوضات الحالية التي تشرع فيها الولايات المتحدة مع ايران بمثابة العمل على ترسيخ الرؤية (الإسرائيلية) حول ما الذي ينبغي ان يكون علية الدور الإيراني المستقبلي. وعلى الرغم من التفكير الأمريكي الجدي في شن حرب جديدة على ايران (بفعل الحشد العسكري غير المسبوق والمتمثل في ارسال حاملتي طائرات الى المنطقة والمدمرات ومنظومات الصواريخ واساطيل الطائرات)، بالتوافق مع (إسرائيل)، الا ان عملية التأخير ترتبط بمقدار التنازلات التي

تقدمها ايران للولايات المتحدة لاسيما فيما يتعلق بالبرنامج النووي الإيراني وبرنامج الصواريخ الإيرانية. فوفق وجهة النظر الإمريكية اثبتت التجربة بان التهديد الإيراني لا يتمثل في البرنامج النووي الإيراني الذي يمكن تأخيره الى مدة زمنية أطول، ولكن من وسائل الايصال التي لها القدرة على مهاجمة (إسرائيل) او مصالح الولايات المتحدة الامريكية.

كما ترتبط عملية الدخول الامريكي في المفاوضات بالعمل على استثمار عامل الزمن من اجل ضمان الاستعداد الأمريكي الأمثل لمعالجة التداعيات الأمنية الإقليمية التي ستترتب على الضربة الامريكية الأولى لاسيما في العديد من الدول التي لها مصالح مع الولايات المتحدة الامريكية.

فاذا ما اندلعت الحرب، كيف سيكون المشهد الامني الشرق الأوسط؟ مما لا شك فيه ان المعطيات الحالية تدل على ان نطاق الضربة الامريكية الأولى هي التي سترسم ملامح السيناريوهات الأولية لمآلات الحرب. كما ان هدف الحرب هو من سيحدد مساراتها والتداعيات المترتبة عليها.

فاذا ما كان هدف الحرب التخلص من البرنامج النووي سيكون ذلك ذو تداعيات اقل على المنطقة لان ردة الفعل الإيراني ستكون محسوبة. اما اذا ما تم توسيع الأهداف لتشمل البرنامج الصاروخي الإيراني فان ذلك سيوسع من التداعيات لان البرنامج الصاروخي الإيراني لا يخضع لمنطق المساومة والتسوية.

«تعمل إدارة ترامب الثانية على تحقيق مجموعة من الأهداف في الشرق الأوسط منها ضمان التحكم بالطاقة، ومنع حرية وصول الصين اليها».

وفي هذا السياق، فان الهدف الأكثر تأثير على المنطقة هو تغيير النظام في ايران، فاذا ما أقدمت الولايات المتحدة على وضع عملية تغيير النظام الإيراني ضمن الأهداف الرئيسة للعملية الامريكية، فان ذلك يقود الى دخول العديد من

الفواعل من الدول وغير الدول في الحرب مما يجعلها تتصف بصفة الشمولية. فكل هدف من الأهداف الثلاثة سواء كانت منفرد أم مجتمعة سيكون لها مستوى معين من التداعيات الأمنية على منطقة الشرق الأوسط. والاثنين الأخيرين هما من سيقود الى الحرب الشاملة في الشرق الأوسط.

والواقع يشير بان الهدف الرئيس للولايات المتحدة و(إسرائيل) يتمثل في معالجة برنامج الصواريخ البالستية الإيرانية لأنه استطاع الوصول الى عمق(إسرائيل) ومثل تهديد للوجود الإسرائيلي وفق وجهة النظر الامريكية والإسرائيلية. ولان التخلي عن برنامج الصواريخ الإيرانية امر غير وارد في بنود التفاوض بن الولايات المتحدة وايران، فان من المحتمل ان يكون الركيزة الأساسية التي ستمثل الذريعة التي ستعمل الولايات المتحدة على استثمارها في أي وقت وشن الحرب على ايران.

فاذا ما امتد نطاق الحرب وتسببت بإغلاق مضيق هرمز، فان ذلك سيؤدي الى تداعيات خطيرة على الاقتصادي العالمي، وحرية الملاحة البحرية، ونقل امدادات الطاقة. فضلاً عن ذلك، فان تقويض سلطة النظام الإيراني جزئياً سيقود الى اشتراك الفواعل العسكرية من غير الدول والتي توجد في العديد من دول الشرق الأوسط مما يقود الى تهديد الامن الإقليمي في الشرق الأوسط.

في الختام، يتجسد المسار الأخطر في الحرب هو الفعل ورد الفعل بين الطرفين والذي قد يقود الى دخول دول المنطقة لاسيما دول الخليج تباعاً نتيجة استهداف القواعد الامريكية في المنطقة، مما يدفع الدول الإقليمية والتي لها مواقف متضاربة حول الحرب وتداعياتها الى الدخول في الحرب سواء بطريقة مباشرة أم غير مباشرة، مما يؤدي الى إعادة رسم خرائط الشرق الأوسط بناء على التداعيات التي تترتب على الحرب.

المصادر:

1: The White House, Fact Sheet, May 15, 2025: https://www.whitehouse.gov/

2: SIPRI Military Expenditure Database, Apr. 2025, p3. https://www.sipri.org/sites/default/files/20252504/04-_fs_milex_2024.pdf

3: استراتيجية الامن القومي الأمريكي، البيت الأبيض، 2025 . ص -27 29.

4: Andre Damon, US military buildup in Middle East against Iran largest since 2003:
https://www.wsws.org/en/articles/202623/02//dsny-f23.html

5: Mark F. Cancian and Chris H. Park, U.S. Military in the Middle East: Numbers Behind Trump's Threats Against Iran, 202026-2-: https://www.csis.org/analysis/us-military-middle-east-numbers-behind-trumps-threats-against-iran